مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 335-355

صورة المرأة اليهودية في روايتي "دم لفطير صهيون، "عمر يظهر في القدس" لنجيب الكيلاني

The image of the Jewish woman in The novels “Blood for Unleavened Zion” and “Omar Appears in Jerusalem” by Najib Al-Kilani

قمر تركي[1]* ،جامعة الشيخ العربي التبسي، الجزائر، kamar.tourki@univ-tebessa.dz

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية جامعة الشيخ العربي التبسي - تبسة- (الجزائر)

بوجمعة بوحفص[2]، جامعة الشيخ العربي التبسي، الجزائر، boudjemaa.bouhafs@univ-tebessa.dz

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية جامعة العربي التبسي - تبسة- (الجزائر)

تاريخ إرسال المقال: 05-01-2023 تاريخ قبول المقال: 29-04-2023

الملخص:

يعتبر موضوع المرأة من أهم الموضوعات التي عالجتها الرواية العربية، نتيجة الواقع السيء الذي كانت تعيشه، والضغوطات الاجتماعية التي عانت منها، ولهذا فقد شغلت قضية المرأة حيزا هامًا في الأدب بعامة وفي الرواية بخاصة. تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على تمثلات صورة المرأة اليهودية في روايتي "دم لفطير صهيون"، و"عمر يظهر في القدس"، حيث سعى فيهما نجيب الكيلاني إلى إلقاء الضوء على ملامح حياة المرأة اليهودية، وخصالها المتدنية، والانحرافات السلوكية والفكرية التي تجسدت في اليهود بشكل عام، وفي المرأة بشكل خاص، تجسد هذا السلوك في شخصية "كاميليا" في رواية "دم لفطير صهيون"، وشخصية "راشيل" في رواية "عمر يظهر في القدس"، حيث عبر الكيلاني من خلالهما عن التحولات والصراعات النفسية التي كانت تجول في خاطرهما، والتي انعكست على الكثير من تصرفاتهما.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الصورة، الشخصية، اليهودية، الصراع.

* قمر تركي

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 335-355

عنوان المقال: صورة المرأة اليهودية في روايتي "دم لفطير صهيون، "عمر يظهر في القدس" لنجيب الكيلاني

Abstract:

The issue of women is considered one of the most important topics dealt with in the Arabic novel, as a result of the bad reality in which it was living, and the social pressures it suffered from. Therefore, the issue of women occupied an important place in literature in general and in the novel in particular. This study aims to identify the representations of the image of the Jewish woman in the two novels "Blood for Unleavened Cakes of Zion" and "Omar Appears in Jerusalem", in which Najeeb Al-Kilani sought to shed light on the features of the life of the Jewish woman, her inferior characteristics, and the behavioral and intellectual deviations that were embodied in the Jews. In general, and in women in particular, this behavior was embodied in the character of "Camelia" in the novel "Blood for Unleavened Zion", and the character of "Rachel" in the novel "Omar Appears in Jerusalem", where Kilani expressed through them the transformations and psychological conflicts that were roaming in Their thoughts, which were reflected in many of their actions.

Key words : woman, image, personality, Judaism, conflict.

مقدمة:

قضية المرأة من القضايا الفكرية التي فرضت نفسها وبقوة على الأعمال الروائية، وقد تعددت مجالات بروز المرأة، فنجد أن الكثير من الأعمال الأدبية سواء شعرًا أو نثرًا تكون فيها المرأة هي المحور الرئيسي، فنجد هناك الكثير من الكتاب الذي يعتبرون عن مشاعرهم نحوها، فمنهم من يراها الحبيبة فيأتي متغزلاً بها، ومنهم من يراها فاحشة مبتذلة، ومنهم من يرى فيها مثالاً للعفة والطهارة، ومنهم من يرى فيها الصديقة التي تجلب الأنس والمودة. فقد كان للمرأة حضور قوي في الأدب، لهذا نجد لكل كاتب نظرته الخاصة اتجاهها، فصورة المرأة عند الكاتب المعاصر متعددة ومتنوعة، فهي في حياته الأم، والأخت، والحبيبة، والزوجة، والعشيقة، وغيرها من الأدوار الهامة في حياة المجتمع، وقد حرص الروائي على رسم نماذج نسائية بكل تفاصيلها، وقدمها بصور متنوعة، وقد شاعت هذه النماذج وتكررت عند كثير من الأدباء المحدثين، وقد شاعت هذه النماذج إلى حد الابتذال عند كثير من الأدباء المحدثين من أمثال نجيب محفوظ وجبرا إبراهيم جبرا وسحر خليفة وغسان كنفاني ويوسف إدريس وغيرهم.

الورقة تسلط الضوء على صورة المرأة اليهودية التي قدمها الروائي "نجيب الكيلاني" في روايتيه "دم لفطير صهيون" التي تتجسد في شخصية "كاميليا"، و"عمر يظهر في القدس" التي تتجسد في شخصية "راشيل"، والقى الكيلاني من خلالهما الضوء على أهم خصال المرأة اليهودية وتذبذباتها النفسية والصراع الداخلي الذي كان يدور داخلها.

أول ما يشدنا إلى نجيب الكيلاني هو وفرة نتاجه الأدبي، حيث أثرى المكتبة الروائية العربية بأكثر من أربعين رواية، تدور أغلبها في فلك الأدب الإسلامي، إلى جانب تصوير قضايا من الواقع الاجتماعي، كتب أيضا الكثير من الروايات التاريخية. إلا أنه على الرغم من هذه الوفرة وهذا التنوع في القضايا التي عالجها في رواياته، لم يبلغ به هذا الإبداع الزاخر ما بلغ بغيره من أمثال نجيب محفوظ مثلاً، لعل السبب في هذا التجاهل والتنكر لهذا الأديب، هو أن رواياته وكتاباته بعامة لا يمثل بالنسبة لصناع القرار وأتباع الفكر الغربي سوى نتاجًا مضادًا، وعلى أقل تقدير إنتاجًا يمثل الماضي العتيق، الذي يعيق حركية التطور، ويقف حجر عثرة أمام عجلة التقدم والرقي. لقد اكتشفت أن روايتي "دم لفطير صهيون" و"عمر يظهر في القدس"، لم يتناولهما الباحثون بالدراسة الكافية بشكل عام، ولم يتم التطرق بالدراسة فيهما إلى صورة المرأة، لهذا اخترت أن اتناول في هذا المقال صورة المرأة اليهودية في الروايتين.

اعتمدت الورقة في تحليل نص الرواية المنهج الاجتماعي، واتخذت آليات الوصف في تحليل الشخصية الروائية النسوية، وتتبع حركاتها داخل البناء الروائي ككل، الذي يمثل الواقع الخارجي أو الواقع الاجتماعي بشكل أو بآخر. كما اعتمدت المنهج النفسي لتحليل ما تختلج به دواخل الشخصية الروائية، ونوازعها النفسية، ومبرراتها في اتخاذ القرارات وانتهاج سلوك معين دون غيره. تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هذه الدراسة لا تهتم بالتحليل الفني لروايتي "دم لفطير صهيون"، و"عمر يظهر في القدس"، بمعناه الواسع، إنما هي محاولة لإلقاء الضوء على إحدى قضايا المرأة التي وردت في هذين العملين الروائيين. اللذين صورا واقع المرأة اليهودية، في ظل الوضع السياسي والاجتماعي الذي يمر بها العالم، بخاصة العالم العربي الإسلامي.

قبل أن نتطرق لصورة المرأة اليهودية في الروايتين، نرى بأنه يجب ان نوضح الرؤية عن مكانة المرأة في الرواية العربية بعامة، مرورًا بمكانتها في التراث العربي الإسلامي، من عصر ما قبل الإسلام إلى الآن، بهدف بلورة فكرة شاملة لواقع المرأة سوسيولوجيا، وعلاقة ذلك بصورتها في العمل الروائي، بغض النظر عن انتمائها العقائدي أو الطبقي؛ بمعنى المرأة كامرأة في حد ذاتها.

احتلت المرأة مكانة لا بأس بها في عوالم الرواية النسوية، لهذا اعتبرت الرواية هي الميثاق الأنثوي الذي تسعى المرأة فيه إلى إثبات كينونتها الأنثوية بعيدًا عن التسلط الذكوري، وبما أن المجتمع ما زال يعتبرها تقليدية الطابع، بوصفها الطرف الأضعف العاجز عن تمثيل نفسه، حيث كانت المرأة في العصور القديمة مغلوبة على أمرها، خاضعة لسلطة الرجل، لكن بمرور الزمن تغيرت تلك النظرة إلى المرأة، وأصبحت تستحوذ على القلوب والعقول، ليس هذا فقط بل قد وصلت إلى دخول مجال الأدب من بابه الواسع، بخاصة في الأدب الروائي. قبل أن نتحدث عن حضور المرأة في روايتي نجيب الكيلاني، نرى بانه من

الضرورة أن نلقي نظرة مختصرة حول حضور المرأة في التراث الأدبي العربي الإسلامي، من أجل أخذ فكرة عن هذا الحضور سواء أكان إيجابيا أم سلبيا، لأن هدفنا أن نعطي أحكامًا عند تحليلنا لحضورها في الروايتين، وفق مبادئ وقيم تطورت عبر التاريخ العربي الإسلامي.

وقد قامت الباحثة بتقسيم هذا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: مكانة المرأة في التراث العربي الإسلامي.

المبحث الثاني: المرأة في الرواية العربية.

المبحث الأول: مكانة المرأة في التراث العربي الإسلامي

المطلب الأول: في عصر ما قبل الإسلام:

ليس من السهل على المتمعن في التراث العربي الجاهلي الوقوف على مكانة المرأة في ذلك العصر، وتحديد الحقوق التي كانت تتمتع بها المرأة الجاهلية بشكل متفق عليه، فالقارئ لهذا العصر يجد أن المرأة كانت مهانة في كثير من الأحيان، حيث كانت معرضة للوأد، ولا ترث بل تورث عند معظم القبائل، وللرجل الحق في الزواج ممن يشاء. لكن في نفس الوقت نلاحظ أن المرأة شاركت في صناعة الأحداث المهمة مثل الحروب، كما برز من العرب ملكات عربية وشخصيات نسائية لا يستهان بهن مثل بلقيس[1].

لقد تمتعت المرأة باحترام الرجل في العصر الجاهلي، واستمتعت بحريتها في اختيار شريك حياتها، وكان أمر الزواج يعرض عليها، فهي لا تُزوج إلا بعد أخذ موافقتها، وكان لها الحق في رفض من لا تريد زوجًا لها.

نقلت الباحثة **سعدية حسن البرغثي** هذا لحوار الطريف الذي دار بين أب وابنته: "هذه كبرى بنات أوس بن حارثة سيدًا من سادات العرب قد جاء خاطبًا فقالت لأبيها: لا تفعل. قال: ولم؟ قالت: لأني امرأة في وجهي ردة، وفي خلقي بعض العهد، وليست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون على ذلك ما فيه. قال: قومي بارك الله عليك"[2]؛ يتضح بأن للمرأة رأي في ارتباطها بالرجل، لكن يبدو أن هذا السلوك خاص بالأسياد فحسب، لولا مكانة

[1] عمر بن عبد العزيز السيف، الرجل في شعر المرأة– دراسة تحليلية للشعر النسوي القويم وتمثلات الحضور الذكوري فيه، مؤسسة الانتشار العربي– بيروت، لبنان، ط01، 2008م، ص: 21.

[2] سعدية حسن البرغثي، الأسرة في شعر ما قبل الإسلام، دار الكتب الوطنية– ليبيا، ط01، 2003م، ص: 103 نقلاً عن أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، مطبعة دار الكتب المصرية– القاهرة، ط01، 1936م، ص: 142

هذه المرأة الاجتماعية لما تجرأت وخاطبت أباها بهذا الأسلوب. على الرغم من هذا التميز لا أننا نعتبره حجة على مكانة المرأة في ذلك الوقت.

كما كان يستعان بالمرأة في الحروب كي تشد من أزر المحاربين، وتنشد أناشيد حماسية تحفزهم وتعلي هممهم، فالمرأة وفقًا لـ **شوقي ضيف**[1] لم تكن في الجاهلية مهملة، بل كان لها قدرها عندهم كما كان لها كثيرًا من الحرية، فكانت تمتلك المال وتتصرف فيه كما تشاء. أما حضور المرأة في الأدب الجاهلي عموما فقد كان حضورا قويا لا سيما في الشعر، حيث تغنى الشعراء بالمرأة حبا وصبابة، وتعلقوا بها أيما تعلق، بدليل القصائد الطوال التي قيلت فيها، وهذا ما يدل على أن المرأة كانت ذات مكانة عالية، فهي الزوجة أو الحبيبة أو الأم أو البنت أو القريبة، وقد كانت دائمًا موضوعًا للرجل، وقد استطاع شعراء الجاهلية أن يصوروا جمال المرأة حيث أصبح ذكر المرأة في مطلع القصائد أمرًا شائعًا جرى عليه الشعراء لاستمالة نفوس الناس[2].

المطلب الثاني: في العصر الإسلامي:

أعلى الإسلام من مكانة المرأة وأكرمها، فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله، كما نالت المرأة وضعًا متميزًا إلى جانب الرجل سواء في قبول الدعوى الإسلامية وتأييدها، أو رفض الدعوى الإسلامية ومقاومتها؛ فقد دخل الإسلام عدد غير قليل من النساء، وهاجر إلى الحبشة أحد عشر رجلاً وأربع نساء، أو عشرة رجال وأربعة نساء أول من هاجر من المسلمين. كما شاركت المرأة في الغزوات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين بما يتلاءم مع طبيعتها، واستوطنت مع الرجال من الجيش العربي في فارس والشام ومصر.

ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الأهلية للتدين وقبول الدعوة، لقوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية: 35)، وقوله عز وجل أيضًا: ﴿اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 195).

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– العصر الجاهلي، دار المعارف– القاهرة، ط24، 2003م، ص: 75

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– العصر الجاهلي، مرجع سابق ص: 130.

ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بالزواج والعلاقات الأسرية، مثل الحق في اختيار الزوج، وحقوق الزوجة في الإسلام معالجة الإسلام لعثرات الحياة الزوجية[1]، فقد حث الإسلام على حسن اختيار الزوجة وحسن معاشرته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء، الآية: 19). كما جعل الله الزواج قائمًا على حسن العشرة والمودة والرحمة كقوله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم، الآية: 21).

كرم الله عز وجل المرأة، ومن أهم مظاهر تكريمها حق الأهلية، حق الميراث، حق اختيار الزوج، وفي ضوء الحكم الإسلامي حظيت المرأة الأندلسية بمكانة مرموقة، حيث لعبت نساء الأندلس دورا بارزا في الازدهار الحضاري، فبرز منهن حاذقات بمختلف العلوم والفنون، وقد لمعت أسماء العديد من النساء في كافة مجالات الأدب، فكان منهن حافظات للقرآن الكريم، وفي علم الحديث النبوي الشريف وروايته لا يقل عدد روايات الحديث عن عدد حافظات القرآن الكريم، فقد ذكر المقري: أن جارية واحدة وهي عابدة المدينة أم ولد حبيب بن الوليد المعروف بدحنون كانت تروي عن أنس إمام دار الهجرة بالمدينة المنورة عشرة آلاف حديث[2].

المطلب الثالث: في العصر الحديث:

تغيرت مكانة المرأة في العصر الحديث، حيث زادت نسبة النساء المتعلمات عما كانت عليه، وأصبح من الطبيعي أن نراها تحصل على الشهادات العليا في جميع التخصصات، بل وتنافس الرجل في ريادة التعليم، ودخلت كافة القطاعات الأخرى كالتمريض، والعلوم الإنسانية والطب، والهندسة والعمارة وغيرها. كما لعبت دورًا كبيرًا في الأدب سواء أكان شعرًا أم نثرًا، حيث نجد الشاعر **نزار قباني** عرف النساء أعراقًا وجنسيات ونماذج منها الفتاة، والمرأة، والتلميذة، والعاملة، والثرثارة، والصامتة، والخجولة، والمتقصية من القيم، وذات الحياء، فيقول: "من كل امرأة تعلمت كلمة من كتاب الحب، من الدمشقية تعلمت الوداعة وانكسار الجفن، ومن العراقية تعلمت الوضوح والكبرياء، ومن الفرنسية تعلمت الخبرة، ومن الصينية

[1] محمد حسن الغانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة واستشكالات نفسية واجتماعية ودينية واقتصادية، ايتراك للطباعة والنشر التوزيع، ط01، 2010م، ص: 246.

[2] محمد صبحي أبو حسين، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب للنشر والتوزيع- إربد، الأردن، ط 02، 2005م، ص: 25- 29.

تعلمت الحكمة، ومن اللبنانية اكتسبت خبرة الفينيقيين في تغير السن وتغير المرافئ"[1]؛ دل هذا التنوع على التحول الذي عاشته المرأة في العصر الحديث، نظرا للتحولات التي حدثت على جميع المستويات، وبالتالي لم تبق المرأة حبيسة التقاليد والعادات التي ورثتها المجتمعات العربية من التقلبات التي شهدها العالم العربي منذ عصر الانحطاط.

المبحث الثاني: المرأة في الرواية العربية:

المطلب الأول: صورة المرأة في الرواية العربية بشكل عام:

تعد الصورة إحدى البنيات التي يبوح بها المبدع من خلال النص، وهي من أصعب مفاتيح النص نظرًا لاختلافها من مبدع لآخر، إضافة إلى أنها تمثل صورة المبدع ذاته، فهو يطرح هذه الذات من خلال نصوصه فتنبثق الذات من خلال الصورة، وتنبثق الصورة من خلال الذات المبدعة،. بناءً على ذلك يمكن تعريف الصورة بأنها "هي لغة اللغة أو لسانها الصارم الذي يفصح عن مكنونات سرها، إنها آلية الخطاب الأولى لتعميم لذة النص على القراء بمختلف مستوياتهم"[2]. فالصور تبرز العمل الفني وتنقل الفكر والعاطفة عن طريقه، فهي مستمدة من عدة جوانب نفسية، حسية، وذهنية، باعتبارها هي "تشكيل لغوي يكونها الفنان من معطيات متنوعة، فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية"[3]. وهنا تكمن أهمية الصورة في كونها ملمحًا أسلوبيًا لا غناء عنه، وأنها تستطيع أن تحقق أهدافًا فنية وموضوعية إذا أحسن استعمالها وتوظيفها والاستفادة منها على اختلاف اتجاهاتها وطباعها المعتمدة، فتقدم صورة صادقة للطبيعة البشرية في حياتها المتنوعة وتربط بين الواقع وصفاته، وتبرز الكثير من المعوقات والدلالات في حياة الإنسان الخاصة والعامة[4]؛ الصورة الأدبية، إذا، هي طريقة للكشف عن الغيب واختراق الواقع إلى ما ورائه، وهي تعطي الشيء الموصوف أو المتكلم عنه ملامح وأوصاف مستعارة من أشياء أخرى، مع وجود وجه شبه بينهما، حيث يقوم المبدع بتصوير الشخصية في بعده الجسمي وأقواله وحركاته، فيكون بمثابة مرآة عاكسة لصورة الشخصية. كما يقوم بوصف الأخلاق والعادات الذاتية للشخصية ليحيلنا هذا الوصف إلى مكامن النفس، ومن هنا يمكننا القول أن الصورة في

[1] التهامي الهاني، الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، دار صامد للنشر والتوزيع- صفاقس، ط01، 2003م، ص: 33- 34.
[2] ناصر معماش، النص الشعري النسوي العربي في الجزائر، دار أدار للطباعة والنشر- الجزائر، ط01، 2008م، ص: 56.
[3] جمال حسني يوسف، صورة النار في الشعر المعاصر، مرجع سابق ص: 39.
[4] نادر أحمد عبد الخالق، الصورة والقصة- بحث في الأركان والعلاقات- قصص مجدي جعفر أنموذجًا، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع- مصر، ط01، 2009م، ص: 42.

الرواية هي صورة بصرية ذهنية، يمكن من خلالها إعادة إنتاج تجربة عاطفية إدراكية معبرة وليس بالضرورة بصرية، وهي أفضل أداة للتعبير.

ومن بين الروايات التي سلطت الضوء على موضوع المرأة "رواية زينب" لـ **محمد حسين هيكل**، حيث قدم لنا امرأتين مسلمتين؛ الأولى امرأة مسلمة ريفية بسيطة من الطبقة العاملة، وهي "زينب"؛ أما الثانية فهي امرأة مسلمة من الطبقة الأرستقراطية "عزيزة". جعلهما الكاتب متناقضتين ليوضح عن طريقهما الفوارق الاجتماعية بين الطبقة الشعبية الكادحة، والطبقة الأرستقراطية المترفة؛ فالمرأة الأولى فلاحة بسيطة عاملة زراعية تخالط الرجال أثناء العمل في الحقول، تنعم بالحياة على شجيتها وسط الطبيعة دون رقيب؛ في حين أن الثانية تمثل المرأة الأرستقراطية التي تعيش سجينة لا تخرج إلا في حالة الضرورة القصوى، مما يجعلها حزينة عليلة الروح مريضة على الدوام[1].

أما **توفيق الحكيم** فقد قدم صورة النساء وهن في الريف، في روايتي "عودة الروح" و"يوميات نائب في الأرياف"، حيث عبر فيهما على أن المرأة لا زالت تخضع لأوضاع اجتماعية مختلفة، فقد مثل المرأة الجاهلة الأمية في "أم السعد"، وكذلك المرأة التي استدعيت للتحقيق في حادثة "ريم" وغيرها من نساء الريف. أما المرأة التي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية، فهي لا تقل غباءً وجهلاً، وما زالت تحمل الجواري البيض، وتتمثل هذا المرأة في زوجة "المأمور"، وامرأة القاضي في "يوميات نائب في الأرياف"، حيث صورهما الحكيم وهما يتبادلان السباب وهنا تلبس كل واحدة منهما ملابس زوجها وتفتخر به مقللة من أهميته[2].

عبر **نجيب محفوظ** عن المرأة في رواياته بما يزخر به المجتمع من أنماط بشرية، وعلى هذا نستطيع أن نصنف صورة المرأة في هذه الروايات إلى ثلاث نماذج، تستقطب الشخصيات التي وردت في هذه الأعمال، وهي في نفس الوقت محصلة لما أفرزه الوضع الاجتماعي للمرأة أثناء الفترة الزمنية التي تصورها هذه الروايات[3]، فنجد صورة المرأة الفقيرة التي تمثلها "إحسان شحاتة" في القاهرة الجديدة، و"نفيسة" في "بداية ونهاية" حيث انتهت علاقتهن بالقوى الاجتماعية المحيطة بهن إلى السقوط بسبب شراسة الأوضاع السيئة التي يعيشها الفرد في المجتمع. وصورة المرأة البرجوازية المتوسطة التي تمثلها

[1] محمد يوسف سواعد، المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة– مصر نموذجًا، دار زهران للنشر والتوزيع– عمان، الأردن، ط01، 2010م، ص: 86.

[2] محمد الصالح الشنطي، الرواية في أدب توفيق الحكيم، دار جليس الزمان– عمان، الأردن، ط01، 2010م، ص: 135.

[3] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، مطبعة القاهرة الجديدة– مصر، ط02، 1970م، ص: 254.

"توال" في "خان الخليلي"، "بهية" في "بداية ونهاية"، وصورة المرأة الأرستقراطية التي تمثلها "كريمة أحمد بيك يسري" في "بداية ونهاية"، وصورة الأم في "خان الخليلي"[1]؛ بناء على كل هذا كانت رواياته واقعية اجتماعية من الدرجة الأولى.

نطلع على الكتابات النسائية نجدها هي الأخرى قدمت صورة مميزة ومتعددة للمرأة في عدة روايات، فطرحت **سحر خليفة** قضايا المرأة بكل شفافية وصراحة، حيث صورت المرأة بقوتها وضعفها، بحزنها وفرحها، بإيجابياتها وسلبياتها، ومعاناتها في المجتمع الشرقي، وتحت ظل الاحتلال[2]، وتمثل ذلك في شخصية "سعدية" في روايتي "الصبار و"عباد الشمس"، وشخصية "سعاد" في رواية "ربيع حار". كما صورت المرأة المثقفة، والعاملة، والأم المومس، والمناضلة، والزوجة، وذلك من خلال شخصية "سمر" الفتاة المثقفة والمتعلمة في رواية "باب الساحة"، وشخصية "عفاف" في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية"[3].

المطلب الثاني: المرأة في روايتي "عمر يظهر في القدس" و"دم لفطير صهيون":

شكلت المرأة غير العربية رصيدًا لا يستهان به من الشخصيات النسوية في روايات نجيب الكيلاني على اختلاف أنواعها التاريخية والاجتماعية والسياسية، والمرأة غير العربية في تلك الروايات هي إما أوروبية أو يهودية، وقد عبرت كلها على اختلاف مراكزها الاجتماعية على الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية في أوروبا عامة وفي إسرائيل، كما عبرت عن فكر وجودي انغمس في الماديات. فقد كانت أغلب الشخوص تسعى إلى تحقيق الحرية الذاتية، وإثبات الوجود الفردي عن طريق رفع القيود، ممثلة في الثلاثي الخطير الجنس والدين والسياسة. كما أن أغلب تلك الشخصيات تحمل نظرة عدائية من الآخر العربي والإسلامي على حد سواء، وخصوصًا الشخصيات اليهودية التي لا تكره العرب المسلمين فحسب، بل عداؤها موصول إلى جميع الشعوب اليهودية التي لا تكره العرب المسلمين، بل عداؤها موصول إلى جميع شعوب العالم، سيما أولئك الذين لا يساندونها في مخططاتها الاستيطانية.

أولاً: راشيل في رواية "عمر يظهر في القدس":

إن فكرة رواية "عمر يظهر في القدس" مبتدعة، وهي أن يعود **عمر بن الخطاب** إلى الحياة في عصرنا الحاضر، وهذا موضوع حساس، فهو ملتصق بالدين، حيث إن عمر رضي الله عنه من صحابة رسول

[1] المرجع نفسه ص: 254

[2] وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، وسط البلد للنشر – عمان، ط01، 2010م، ص: 249.

[3] المرجع نفسه ص: 248– 249.

الله صلى الله عليه وسلم، وثاني الخلفاء الراشدين، ولا يمكن التساهل فيما يروي أو يوضع على لسانه، أو ما يمكن أن ينسب إليه من أفعال. بالإضافة إلى أن ظهوره معجزة لم يتنبأ بها نص شرعي، كما الحال في نزول عيسى عليه السلام؛ لقد قمع هذا البعد الديني للموضوع خيال الكاتب، فلم تأت الرواية رواية بالمعنى الصحيح، بل جاءت في مستويين، مستوى من الوعظ والخطابة والنقد المباشر للحضارة المعاصرة وللمسلمين بواقعهم الحالي وجميعها على لسان عمر، وتشكل محورًا في العمل الروائي ككل، ومثال لذلك يقول الكاتب على لسان عمر: "لقد ابتليتم بالأنانية على مستوى الفرد والدولة، لم لا تحطمون هذه القيود والسدود؟ امتزجوا، تآخوا ودوسوا الأسلاك الشائكة التي تفصل بينكم، واحفروا قبرًا لكل بادرة من بوادر التفرقة"[1].

ويقول عن الحضارة المعاصرة: "عالمكم مجنون، ويتهمني بالجنون في ظل رفاهية المادة تحدرون إلى الحضيض، ومقضي على بنائكم الزائف بالفناء علمكم الكافر سيهدم في يوم من الأيام قصور الوهم والنعيم، يا رجس العصور ومباءة التاريخ"[2]. أما المستوى الآخر هو الأفعال والأحداث الثانوية التي تدور حول المحور الأول لكنها لا تتفاعل معه بل تنفعل وتتأثر به من جهة واحدة فقط، فالرواية عبارة عن مجموعة من ردود الفعل المحلية للمعجزة، إن عملاً روائيًا مبنيًا على فكرة مثل ظهور عمر في القرن العشرين كان الأولى أن يكون إما فلسفيًا عميقًا يأخذ بعدًا مجردًا خياليًا لا مكان فيه للوعظية التقريرية الضحلة لغويًا أو أن تتحول إلى ملحمة عالية فيها إسقاط على الواقع التاريخي الذي نشأ بسبب هزيمة حزيران 67[3].

إن وجود المرأة ممثلاً بشخصية "راشيل" في الرواية يرمز إلى شخصية مفعمة بالحيوية نراها في أكثر من جانب، وهي شخصية متطورة تبدأ فتاة عابثة، ثم تصبح فضولية، ثم مسلمة مؤمنة تعشق عمر وتربط مصيرها بمصيره على نحو ما. لكن سير الأحداث أحيانًا يميل إلى السخافة، إذ كيف تتحول معجزة ظهور عمر تحولاً أساسيًا إلى موقف بينه وبين هذه الفتاة الإسرائيلية راشيل؟ فأعجبت به حتى أنها لم تصدق بوجوده فتقول: "لو صورته لي الكتب مع هذه الصورة قبل أن أراه لهززت كتفي ساخرة وقلت هذه أسطورة لا وجود لها... لكني الآن ألمسه على كثب.. وأسمع كلماته... ويحلو لي دائمًا أن أقارن بينه وبين غيره من الناس فيهولني الفرق الشاسع"[4]، فتظهر "راشيل" منذ اللقاء الأول مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي

[1] نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، دار النفائس للطباعة والنشر – بيروت، لبنان، ط01، 1981م، ص: 72.
[2] المصدر نفسه، ص: 82.
[3] سميرة الخوالدي، المرأة في روايات نجيب الكيلاني، مكتبة العبيكان– الرياض، 1427هـ، ص: 86.
[4] نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، مرجع سابق ص: 185.

الله عنه امرأة لعوب قوية الشخصية لا تتقبل الهزيمة لذلك ازداد إصراراها على التقرب من الخلفة لأنها ترى أن تصرفاته توحي بالغرابة والشذوذ[1].

"راشيل" فتاة لا تتورع في أن تبدي إعجابها الشبقي بالخليفة أمام عشيقها حيث تطوقه بذراعيها وتقول في استهزاء "إيلي.. يا حبيبي... إن هذا الرجل ظريف للغاية لكأنه من أهل الكهف إنه تحفة نادرة"[2]، ثم إنها لا تكتفي بهذا الأمر من الاستهزاء بل تتجرأ وتتحسس ذراع الخليفة وتقول: "أنت كهل مثير للغاية.. إني أدعوك للعشاء معي"[3]. هذه الفتاة التي لا تفكر إلا في شهواتها متقلبة المزاج، فنجد أنها تتنكر لخطيبها "أيلي" رغبة في امتلاك الخليفة الذي استعصى عنها لذلك تقول لإيلي "انتهى الأمر لم أعد أحبك هذا شيء خارج عن إرادتي"[4].

تعتبر "راشيل" نموذج للفتاة اليهودية التي تتصف بالطيش والعبث والسعي لتحقيق ما ترغب فيه مهما كانت الطريقة المؤدية لذلك الغرض لكن الخليفة يقف صامدًا محافظًا على مبادئه رافضًا هذه السلوكيات الوقحة فيقول: "يا للكارثة إنها حرية فسوق، وهذه الصور البائسة تتعرض لحريتنا نحن، تقطع علينا الطريق وتنشر مبادئها لجر الضعفاء منا.. إنه هدم للفضائل.. أهناك اعتداء على حرياتنا وحريات الآخرين أبشع؟"[5].

إن الخليفة عمر رضي الله عنه قد تغلب على هذه الفتاة ليس عن طريق تعنيفها وإنما بالحق والمبادئ والقيم التي تعجبت منها الفتاة وشعرت بأنها تلمس ما بداخلها من بذور طيبة رغم يهوديتها، فتقول: "كنت أبحث دائمًا عن شيء لا أعرفه... في أعماق تيه خالد"[6].

نجد الكيلاني يصور لنا تحولاً كبيرًا لشخصية "راشيل" وتركها للرذيلة حينما تذهب إلى المستشفى لعيادة الخليفة عمر رضي الله عنه تعلن إسلامها بين يديه وفي ذلك يقول القاص "كنت لا أصدق ما تقع عليه

[1] المرجع نفسه ص: 89.

[2] نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، مرجع سابق ص: 26.

[3] المرجع نفسه ص: 27.

[4] المرجع نفسه ص: 90.

[5] المرجع نفسه، ص: 81.

[6] المرجع نفسه، ص: 90.

عيناي أو تسمعه أذناي، و"راشيل" ترتل الشهادتين في صدق لا شك فيه، ورأيت الرضا والفرح يكللان وجه أمير المؤمنين"[1].

نلاحظ أن "راشيل" قد تغيرت تغير كبيرًا بعد اعتناقها الإسلام ويظهر ذلك في حديثها، فتقول:

"لا تشك في أمري، لقد ارتديت زيًا يليق، أعرف أنك ممن يرفضون تبرج النساء. أيها الشيخ، أنت لا تعرف مدى ما أثرته في من فضول. حسنًا. نكن أصدقاء، لقد ضربتني مرتين، هذا أمر غيب. امرأة تريد أن تناقش وتفهم، هل في ذلك عيب؟"[2]. هتف عمر مستغربًا:

- وكيف تأمنين على نفسك مع رجل قد تراوده أمنيات طائشة؟
- إني أثق فيك.
- وأنا أرفض هذه الصداقة المشبوهة.
- أدينك يأمر بذلك؟
- ديني يأمرني بأن لا ألقي بنفسي إلى التهلكة، وألا اقترب من الشبهات، وألا أجالس نافع الكير[3].

وجود راشيل في الرواية وحوارها مع الخليفة قد يأخذ معنى أعمق وأكثر قبولاً لو نظرنا إليها كرمز للحياة الدنيا وفتنتها، ففي المنظور الإسلامي تعزف الحياة الدنيا عمن يطلبها ويلهث وراءها (وراشيل تهرب من صديقها السابق) بينما تدين وتخضع لمن يزهد فيها ويكون أقوى من سطوة فتنتها، إن راشيل تركض في أذيال عمر تبحث عن رضاه، تدخل في دينه، تسعى إلى فكه من الأسر، وحين يختفي تصاب بانهيار عصبي، وهكذا الحياة الدنيا مع المؤمن، كما جاء في الأثر الصالح احرص على الموت توهب لك الحياة، وعمر يفترض أنه ظهر في زمن دب فيه الوهن في الجموع المسلمة.

يركز الكيلاني على طرح فكرة متأصلة في الشخصية اليهودية، وهي صفة المكر والخداع حتى وإن اعتنقت "راشيل" الإسلام فإنها بقيت تتصف بكثير من صفات اليهود، فها هي تخدع صديقها "إيلي" حينما توهمه بأنها دخلت الإسلام شكليًا فقط لأنها في الحقيقة جاسوسة من قبل المخابرات الإسرائيلية لمعرفة أخبار الخليفة كما استطاعت مخادعة رجل المخابرات حينما سألها في موضوع إسلامها والذي تم تسجيله

[1] المرجع نفسه، ص: 124.

[2] نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، مرجع سابق ص: 83.

[3] المرجع نفسه، ص: 83.

في غرفة الخليفة أثناء نطقها بالشهادتين، فيقول لها "إما أن تكون ممثلة بارعة أتقنت دورها على الوجه الكامل، وإما أن يكون الرجل قد خدعك وأقنعك بنزهاته"[1]. إلا أنها لم تكن كذلك مع الخليفة؛ لأنها كانت صادقة في إسلامها مما ميزها عن غيرها من بني جنسها، فالكيلاني يريد عن طريق شخصية "راشيل" ومواقفها أن يلقي الضوء على أمر هام وهو ضرورة أخذ الحيطة والحذر مع العدو وربما استخدام نفس السلاح الذي يحاربنا به، فما أخذ بالقوة لابد أن يسترد بالقوة، وقد حث الكيلاني على هذه الفكرة حين قال "شرف الأسلوب مرتبط بشرف الغاية، ولكن هذا المعتدي لا تستطيع مواجهته إلا بنفس سلاحه"[2].

ثانيًا: كاميليا في رواية "دم لفطير صهيون":

تمثل صورة المرأة في هذه الرواية "كاميليا" وهي امرأة يهودية زوجة "داود هراري" تاجر يهودي كبير، وهو شخصية رئيسة من شخوص الرواية التي تدور أحداثها في دمشق، وبالضبط في إحدى حارات اليهود، يقول الدكتور نجيب الكيلاني معبرًا عن الأبعاد الدلالية لكاميليا في رواية "دم لفطير صهيون" "إن زوجة "داود هراري" كاميليا مثلاً لم يقصد بها سوى إبراز التناقض الحاد، والعفن الاجتماعي والاضطراب العاطفي الذي تفرزه التعاليم الزائفة المستقاة من شروح التلمود وتعززه القيم الفاسدة التي درج عليها المجتمع اليهودي بما يسيطر عليه من جشع وأنانية ومادية مفرطة... تعد كاميليا رمز حيوي متحرك، وتجسيم لمأساة الضلال اليهودي القديم، وصورة صادقة للعقد النفسية التي يتضح بها التاريخ الطويل لملة أصابها الزيف والشطط عبر العصور[3]. لم يصور الكاتب فقط هذا الجانب من كاميليا بل جعلها تمر بمراحل نمو نفسي بفعل تتابع الأحداث المفاجئة، وشدتها عليها، فتتمكن من خلالها من مراجعة نفسها وسلوكها، وتقرر الإقلاع عن هذه الفاحشة المخزية والعيش في ظل علاقة صافية طاهرة مع زوج آخر كما سيتضح لنا بعد قليل.

جاء عنوان الرواية متدرجًا في تلخيص مركز للخليفة والسلوك: "حارة اليهود + دم لفطير صهيون"، فالحارة حيز جغرافي له حدوده ومواصفاته تسمح له بأن يكون مجالاً لتجمع السكان غير أن إضافتها إلى اليهود إشارة واضحة أن هؤلاء حرصوا أن يكون ذلك التجمع يهوديًا خالصًا شكلاً ومضمونًا[4]، وحتى يضع

[1] المرجع نفسه، ص: 126.

[2] نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، مرجع سابق ص: 169

[3] نجيب الكيلاني، تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، دار ابن حزم-بيروت، ط01، 1991م، ص: 55

[4] الطيب رحماني، طبائع اليهود في رواية "حارة اليهود.. دم لفطير صهيون" لنجيب الكيلاني، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مج 24، ع 96، 2017م، ص: 39

الكاتب القاري في جو الرواية، فقد عمد منذ البداية إلى وصف دقيق لتلك الحارة وسكانها من اليهود، فهي حارة "إذا سرت فيها وقعت عيناك على رجال اليهود ونسائهم وأطفالهم وعلى بيوتهم المتلاصقة المزدوجة... لا يكاد المرء يدخلها إلا منحنيًا... كأنها أبواب الدهاليز الغامضة... والباب يقودك إلى ممر ملتو كالأفعى يفضي إلى باحة واسعة في جوفها بريق الذهب والجواهر.. وزجاجات الخمر.. وغانيات يلعبن النار، يرقصن رقصة غجرية.. وحاخامات يتحدثون عن الفطير المقدس.. ودم المسيحين.. وعيد الفصح"[1].

أسرة "هراري" تسكن حارة اليهود بدمشق ذات الثراء الفاحش والتجارات الواسعة والصيت الذائع، وقد شكل أفراد هذه الأسرة اليهودية شخصيات الرواية التي تروي قصة قتل أحد رجال الدين المسيحين "القس البادري توما" بطريقة بشعة وذلك بذبحه وتقطيع جسده أربًا أربًا وتصفية دمه لمزجه بالدقيق لصناع الفطير المقدس – الذي يعتقد اليهود أنه يرد القوة للمرضى– ورميت قطع جسده في مصرف قريب من حارة اليهود، وكان "داود هراري" هو الذي ذبحه بعد استدراجه إلى بيته، وقد ساعده جماعة من اليهود ثم تطور أحداث الرواية حتى تكشف الجريمة ويحاكم الجناة.

عاشت في هذا الجو الموبوء بالخيانة والغدر والجريمة "كاميليا" وهي شخصية موضوعة لجأ إليها الكاتب لبيان فساد المنابع السلوكية والفكرية والعقيدية لليهود وإبراز "الفرق الشاسع بين عظمة الإسلام وسماحته إذا ما قورن بتلك الانحرافات اليهودية"[2]. ومن خلال تتبع رواية "دم لفطير صهيون"، كانت شخصية "كاميليا" ممثلة لكل معاني الانحراف والتمزق الفكري، فهي تخون زوجها مع أحد خدمها، وتبرر لنفسها ذلك بأن من حقها أن تعيش وألا تستسلم لعجز زوجها وضعفه، وقد أحسن الراوي في رسم صورة المرأة سواء فيما يتعلق بشخصية البطلة "كاميليا" أو الشخصية الثانوية "أستير الخادمة" بل لقد أحسن في القصة كلها من حيث نقله لمشاهد اختطاف "توما" وخادمه، والكيفية التي تمت بها عملية الذبح ومجزرة تقطيع الجثة ووضعها بأكياس، وكسر عظامه وجمجمته بيد الهاون، وفصل دمه في طشت معد لهذا الغرض، وتقطيع أحشائه ووضعها بكيس. هذه المجزرة البشعة تتم تحت إشراف رجال من اليهود وهم يضحكون ويمرحون ويغنون، وبعضهم كان يرقص طربًا، هذه الطقوس ضرورية كما في الديانة، وكانوا يفعلون أشياء كثيرة ليزيدوا من ألم البادري توما، وقالوا له: "كن متألمًا كما كان الناصري عيسى معلقًا على الصليب وليتحصل هذا العذاب لجميع أعدائنا".

[1] نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، لبنان، ط08، 2002م، ص: 10.
[2] نجيب الكيلاني، تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، مرجع سابق ص: 56.

عندما كانت كاميليا تنتظر عشيقها مراد الفتال الذي تقيم معه علاقة آثمة في تلك الحجرة الصغيرة القذرة التي تقع في آخر الدهاليز الأرضي، حث كانت تلك الغرفة المهجورة تمتلئ بالأتربة وبعض المخطوطات القديمة والكتب المقدسة، وغيرها من طبعات التلمود الصفراء الرثة وبعض الأغراض الأخرى[1]. بينما جلست "كاميليا" في هذا الجو وأخذت تنظر يمنة ويسرة، وقعت عيناها على كتاب قديم يغطيه الغبار، يقبع إلى جوارها.. فتناولته وأخذت تقرأ: "الطوريورد" .... وجاء في البند 158 أنه محرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من بقية الأمم من البئر التي يكون وقع فيها، وعلى الطبيب اليهودي ألا يداوي أمميًا (غير إسرائيلي) مطلقًا ولو بالأجرة إلا إذا أراد ضرره أو الانتفاع بماله، فإذا كان مبتدئًا في هذا الفن فليتعلم بمداواة باقي الأمم، ويجوز إجراء المعالجة مجانًا في هذه الحالة"[2].

عندما انتابها القلق والضيق بسبب تأخر مراد الفتال قذفت بالكتاب بعيدًا، وبطريقة لا شعورية تناولت مخطوطًا آخر مكتوبًا بخط اليد الأسود، وأخذت تقرأ دون أن تدرك معنى لما تقرأ "لا تعتبر اليمين التي يقسمها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يمينًا؛ لأنه كإنما أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يمينًا.. فإذا اضطر يهودي أنه يحلف لمسيحي فله أن يعتبر ذلك الحلف كلا شيء.. على أنه لا معنى للنزاع القائم على الأموال بين اليهودي وغير اليهودي.. إن أموال المسيحي ودمه ملك لليهودي، وله التصرف المطلق فيها، وله الحق، طبقًا لقواعد التلمود في استرجاع تلك الأموال"[3].

وعلى الرغم من أن كاميليا تعلم أن هذه الكلمات هي من صميم القواعد الدينية اليهودية إلا أنها لم تعرها اهتمامًا ولم تشعر حيالها بأدنى مذاق أو معنى، مع أنها تؤمن بها وتجلها، وحين يبلغ بها القلق مبلغه، تجول في أنحاء الغرفة بحثًا عن كتاب آخر علة يسليها ويخفف من توترها "واختطفت كتابًا ثالثًا صغيرًا وأخذت تقرأ فيه لكن الكلمات شدتها هذه المرة: ماذا أرى يا الهي؟ فلتقرأ بصوت مرتفع: وقال الربي كرونر: إن التلمود يصرح للإنسان اليهودي بأن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها، ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سرًا لعدم الضرر بالديانة"[4].

الأمر الذي جعل كاميليا تتساءل كيف تكون هذه الكلمات في الكتب الإسرائيلية المقدسة دون أن تدرس عنها شيئًا، ولماذا لا يذكر لها زوجها شيئًا عن ذلك ولا يخبرها إلا عن الفطير المقدس.

[1] نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، مرجع سابق ص: 21.
[2] نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، مرجع سابق ص: 22.
[3] المرجع نفسه، ص: 23.
[4] المرجع نفسه، ص: 23.

إن الكيلاني يربط بين إقدام كاميليا على خيانة زوجها مع خادمه وبين ما تجده في الكتب المقدسة عن أفعال الحاخامات وأئمة اليهود وما ورد في تلك الكتب من مسوغات للانحطاط الخلقي والانحراف السلوكي لأولئك فقد ورد في التلمود "أن كثيرًا من الحاخامات مثل الريي (رايي) والريي (نحمان) أنهم كانوا ينادون في المدن التي يدخلونها عما إذا كان يوجد فيها امرأة تريد أن تسلم نفسها لهم عدة أيام، وجاء في التلمود أيضًا عن الريي (اليعازر) أنه فتك بكل نساء الدنيا، وأنه سمع مرة أن واحدة تطلب صندوقًا ملانا بالذهب كي تسلم نفسها فحمل الصندوق وعبر سبعة شلالات حتى وصل لها، وجاء في التلمود أن هذا الحاخام لما توفي صرخ الله في السماء قائلاً تحصل الريي (اليعازر) على الحياة الأبدية"[1]. هكذا تقرأ كاميليا بإعجاب هذه الكلمات المثيرة التي وجدتها في التلمود عن هؤلاء الحاخامات الذين انحرفوا، ولم يحرقهم الله بنار العذاب، بل إن الله قد جازاهم بالحصول على الحياة الأبدية، تلك هي تعاليم التلمود المسوغة الخيانة والفسوق، فكيف لا تنغمس كاميليا في وحل الإثم؟ وتميل نفسها إلى الجريمة في غرفة مليئة بالتراب وصرارير وأغراض قديمة، تبعث في نفسها النشوء العارمة في كيانها لذلك عندما يجيء مراد "تشبثت به كأغلى أمنية تفوق الدين والدنيا بالنسبة لها"[2]؛ لأنها كانت تعتقد بأنها سوف تحصل على الحياة الأبدية كالحاخام اليعازر[3].

الملاحظ أن هذه الشخصية اتسمت بالتذبذب في السلوك والتناقض والاضطراب النفسي، فهي من جهة تعامل زوجها "داود" معاملة الزوجة المطيعة المهتمة بشؤون زوجها، تبدي له أسمى معاني الاحترام والمحبة "إنها بالتأكيد اليوم لا تريد لزوجها أن ينتهي تلك النهاية المحزنة، هل هي تحبه؟ سؤال صعب الإجابة عليه، أهي تكرهه؟ بالأمس كانت تخونه، وكانت تدرك أن هذه الخيانة لها معنى يرفضه المجتمع، وكانت تفترض أن زوجها رافض له، بل قد يسفك دمها لو علم بها وتتصور زوجها غاضب الوجه، مشمئز النظرات يريد أن ينشب فيها أظافره، هذه الصورة المتخيلة لزوجها كانت تثير الكراهية له في نفسها أما زوجها الذي تعايشه وتخاطبه، ويرق لها ويبتسم عند رؤيتها، ويحاول مراضاتها بشتى الطرق، فهو نموذج آخر غير النموذج المتخيل الرهيب"[4]. هنا تظهر كاميليا امرأة ممزقة بين شخصيتين لزوجها، شخصية تميزت بالحنان والرفق والحب وهي التي تحترمها، وشخصية ثانية هي شخصية الزوج العاجز الضعيف الذي لا يستطيع معاملتها كزوج بمنحها حقوقها المشروعة لذلك "كانت تهرب من هذا التمزق

[1] نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، مرجع سابق ص: 24.
[2] المرجع نفسه، ص: 25.
[3] المرجع نفسه، ص: 25.
[4] المرجع نفسه، ص: 100.

النفسي العنيف إلى الخمر وإلى أحضان الخادم ويومًا كانت لها فلسفة غريبة مفاداها أنها تحب زوجها لكنه لا يؤدي معها وظيفة الرجل، وكانت فلسفتها الغريبة تزعم لها أن لها الحق في أن تسد الفراغ القاتل في حياتها، أو النقص القائم في زوجها بأية طريقة ولو مع خادم"[1].

الكيلاني قد نجح في تصوير هذه المرأة التي لم تكن شخصية ثابتة على وضع واحد بل إنها تطورت وكان تطورها تطورًا إيجابيًا حيث تحولت كاميليا من امرأة خائنة عابثة تخون زوجها مع خادمه مراد انتقامًا لأنوثتها المهدورة وثأرًا من خادمتها "أستير" التي أحبها مراد ويرغب في الزواج منها، تتحول كاميليا من شخصية شريرة عابثة إلى شخصية واعية خيرية تسعى إلى التفكير عما اقترفته من ذنوب. وينجح الكيلاني أكثر حينما لم يجعل هذا التحول اعتباطيًا ومفاجئًا، بل أنه مهد له بمسوغات كثيرة، فقد اجتمعت أسباب كثيرة وتضافرت عدة عوامل ساعدت على تحول هذه الشخصية منها على وجه الخصوص دخول زوجها "داود هراري" السجن بتهمة جريمة قتل الأب توما، وتحولت حالة هذا الزوج إلى الضعف والانكسار، "فحينما جاء إليها زوجها، كان كالهيكل العظمي تكسوه جلود ساحبة، وكانت عيناه غائرتين تفضيان تعاسة وألمًا"[2]. لذلك ذرفت الدموع إشفاقا عليه حتى أنها نسيت ماضيها المضطرب، وانتابتها مشاعر غامضة تجاه زوجها، لذلك "لم تفهم كاميليا شيئًا وضمته إليها في حنان بالغ، تألمت في عمق أحزنتها حالته التعسة"[3]. وقد كان تحولها أيضًا بسبب ما شعرت به من ضعف وهوان حتى إنها اشمأزت من نفسها وتمنت أن تموت لحظة أمسكت بها خادمتها "أستير" وهي في الوضع الشائن حينما وجدت نفسها مكرهة على مداهنة الخادمة حتى لا تفشي سر خيانتها حيث "أدركت كاميليا معنى كلماتها إنها تهدد، ولابد من مهادنتها لو استطاعت أن تعتذر للخادمة وتسترضيها، فإن ذلك معناه أن تكتم سر جريمة البادري توما، وفي نفس الوقت تغطي على خطيئتها، وبعد ذلك تستطيع أن تتدبر أمرها بهدوء"[4]. لذلك تشعر كاميليا بالندم على ما قامت به من خيانة لزوجها ومع خادمه خاصةً حينما وجدت نفسها جائية على ركبتيها العاريتين "واختطفت يدها وقبلتها وأخذت تتمسح في أذيال ثوبها" حتى لا تكشف عن هذه الجريمة.

إلا أن أهم عامل ساهم في تحول شخصية "كاميليا" هو ما رأت في شوارع دمشق من حال المسلمين حيث رأت مجموعة من الأطفال يقرأون المصاحف تحت شمس الشتاء الساطعة، فأخذت تقارن بين الطقوس

[1] المرجع نفسه، ص: 101.
[2] نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، مرجع سابق ص: 83.
[3] المرجع نفسه، ص: 86.
[4] المرجع نفسه، ص: 64.

التعبدية الغامضة التي يقوم بها اليهود وعلى رأسهم أحبارهم وحاخاماتهم "الكتب المقدسة في أيدي الأطفال.. يا إلهي.. لا أسرار ولا غموض.. الدين للجميع.. ليس هناك أسرار مخبأة في دهاليز مظلمة، وليس هناك طقوس بالأحبار الكبار أو الحاخامات العظام.. المصحف يقرؤه الصغير والكبير، أكان أبو العافية على حق حينما اعتنق الإسلام؟ هذا ما كانت تفكر فيه كاميليا وهي تدخل إلى حارة اليهود"[1]. جل هذه الأسباب جعلت كاميليا تستيقظ من غيبها وتتبع فطرتها السليمة تطلب الانفصال عن زوجها وتفضل ذلك بدلاً من الرذيلة والخيانة "هي لا تنكر أن لها مع زوجها مأساة من نوع خفي يجهله الناس، وتعرفه هي تمام المعرفة، لكن علاج الأمر لا يكون بالجنوح إلى الرذيلة، أليس بإمكانها أن تنفصل عنه، وتبحث لها عن زوج آخر؟ إن هذا التصرف برغم صعوبته وأثاره المؤلمة قد يكون أليق بها كإنسانة تؤمن بالقيم المتوارثة والأخلاق المتعارف عليها"[2].هكذا تنتهي هذه الرواية بتوبة هذه المرأة ورجوعها إلى الفطرة السلمية حيث تصارح زوجها بالحقيقة وتطلب منه أن يطلق سراجها فقد أدت واجبها نحوه "وما إن هدأت الأحوال واستقرت الأمور وكاد الناس أن ينصرفوا عن حادثة "البادري" ومخلفاتها حتى قدمت كاميليا إلى زوجها وقالت في هدوء تحسد عليه:

- آن أن أخبرك بالحقيقة.
- التفت إليها في دهشة وقال:
- ماذا؟
- لقد قررت الرحيل.
- كيف؟
- لقد أديت واجبي ويجب أن تنتهي حياتنا الزوجية
- كاميليا حبيبتي... أنا ومالي وما أملك تحت تصرفك
- قالت وهي تبتسم في مرارة:
- حان الفراق.. ولا فائدة.

[1] نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، مرجع سابق ص: 88.

[2] المرجع نفسه، ص: 101.

ومع أن زوجها ترجاها أن تتراجع في قرارها حتى أن أغراها بأن لها الحرية في استكمال سعادتها بالطريقة التي تراها شريطة أن لا تتركه، وهو بذلك يحرضها على الرذيلة، إلا أن كاميليا قد أخذت قرارها بدون رجعة مصرحة: "أنا خارجة ولن أعود.. وأي كلام بهذا الخصوص لا فائدة منه"[1].

يتضح لنا من شخصية "كاميليا وراشيل" وغيرها كثير أن المرأة اليهودية لا تخرج عن إطار ما رسمته لها تعاليم التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، والتي بدورها لا تخرج عن سلوكيات الغدر والخيانة والمكر وادعاء التفوق على الآخرين بحكم أن اليهود هم شعب الله المختار وفقًا للمقولة الكاذبة.

الخاتمة:

توصلنا بعد هذه الرحلة مع صورة المرأة في روايتي "دم لفطير صهيون"، و"عمر يظهر في القدس" إلى النتائج التالية:

- قدم الكيلاني صورًا مميزة متعددة ومتنوعة للمرأة في مختلف رواياته خاصة اليهودية.
- القى الكيلاني من خلال رواياته الضوء على أهم خصال المرأة اليهودية وتذبذباتها النفسية والصراع الداخلي الذي كان يدور داخلها.
- وضع الكيلاني في رواية دم لفطير صهيون الأصبع على الأصول العميقة لداء الجرائم اليهودية، حيث الفساد والانحراف العقدي والخلقي، فهم يأخذون تعاليم دينهم وشرائعه من كتب قديمة، خطها أحبارهم وحاخاماتهم بمداد رعوناتهم وأهوائهم النفسية المريضة بالأحقاد المفتعلة ضد الإنسانية.
- شكلت شخصية "كاميليا" أحد صور المرأة اليهودية من خلال رواية "دم لفطير صهيون"، تلك المرأة اليهودية الفاسدة التي لا تخرج عن إطار ما رسمته لها تعاليم التلمود من سلوكيات الغدر والخيانة والمكر.
- مثلت شخصية "راشيل" في رواية "عمر يظهر في القدس" المرأة اليهودية التي بعد أن كانت لا تفكر إلا في شهواتها ورغباتها التي يجب أن تشبعها بأي شكل وبأي طريقة إلى شخصية

[1] المرجع نفسه، ص: 112.

أخرى تمامًا بعد اعتناقها الإسلام وإيمانها بمبادئه التي غيرت من نظرتها للحياة بشكل متكامل.

وتوصي هذه الدراسة بـ:

- ضرورة الاهتمام بأدب نجيب الكيلاني لما تحويه كتاباته من روائع أدبية تصلح لجميع الدراسات.
- ضرورة الاهتمام بدراسة الروايات التي تبين قيمة الدين الإسلامي ودوره في إرساء المبادئ والقيم الحميدة التي من شأنها أن تغير فكر المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولاً: الكتب:

1. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة، ط01، 1936م.
2. التهامي الهاني، الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، دار صامد للنشر والتوزيع- صفاقس، ط01، 2003م.
3. سعدية حسن البرغثي، الأسرة في شعر ما قبل الإسلام، دار الكتب الوطنية- ليبيا، ط01، 2003م.
4. سميرة الخوالدي، المرأة في روايات نجيب الكيلاني، مكتبة العبيكان- الرياض، 1427هـ.
5. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، دار المعارف- القاهرة، ط24، 2003م.
6. طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، مطبعة القاهرة الجديدة- مصر، ط02، 1970م.
7. عمر بن عبد العزيز السيف، الرجل في شعر المرأة- دراسة تحليلية للشعر النسوي القويم وتمثلات الحضور الذكوري فيه، مؤسسة الانتشار العربي- بيروت، لبنان، ط01، 2008م.
8. محمد الصالح الشنطي، الرواية في أدب توفيق الحكيم، دار جليس الزمان- عمان، الأردن، ط01، 2010م.

9. محمد حسن الغانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة واستشكالات نفسية واجتماعية ودينية واقتصادية، ايتراك للطباعة والنشر التوزيع، ط01، 2010م.
10. محمد صبحي أبو حسين، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب للنشر والتوزيع- إربد، الأردن، ط 02، 2005م.
11. محمد يوسف سواعد، المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة- مصر نموذجًا، دار زهران للنشر والتوزيع- عمان، الأردن، ط01، 2010م.
12. نادر أحمد عبد الخالق، الصورة والقصة- بحث في الأركان والعلاقات- قصص مجدي جعفر أنموذجًا، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع- مصر، ط01، 2009م.
13. ناصر معماش، النص الشعري النسوي العربي في الجزائر، دار أدار للطباعة والنشر- الجزائر، ط01، 2008م.
14. نجيب الكيلاني، تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، دار ابن حزم-بيروت، ط01، 1991م.
15. نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، لبنان، ط08، 2002م.
16. نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، دار النفائس للطباعة والنشر - بيروت، لبنان، ط01، 1981م.
17. وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، وسط البلد للنشر- عمان، ط01، 2010م.

ثانيًا: المقالات:

18. الطيب رحماني، طبائع اليهود في رواية "حارة اليهود.. دم لفطير صهيون" لنجيب الكيلاني، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مج 24، ع 96، 2017م.